

الأنبياء
فالأديان الثلاثة
لهو الله، النصرانية، اليهودية

دكتور
المحمد محمد محمد سليمان
الأستاذ المشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
بالجامعة

مقدمة البحث :

تعتبر عقيدة النبوة - وهى التصديق بأن الله - عز وجل - ينزل كلامه ويلقى بأمره إلى إنسان يختاره ويصطفيه من بين خلقه ليخبر الناس بمراد الله منهم وما يرتضيه لهم - من أهم العقائد وأعظمها خطرا بعد الإيمان بالله - سبحانه وتعالى .

وإذا كانت عقيدة الإيمان بالله - سبحانه وتعالى - واليقين به أمرا فطريا في النفوس حتى إنها - أحيانا - قد لا تحتاج إلى برهان فإن قضية الإيمان بالنبوة والرسالة من القضايا التي قابلتها البشرية بكثير من الإنكار والرفض وعليها ينبنى استجابة البشر لدعوة الله والدخول في طاعته .

فإذا ما آمنوا بحقيقة النبوة وأقروا للداعى إلى الله بنبوته وأقام لهم الدلائل والبراهين على صدقه وأمانته أذعنوا لشرع الله واتبعوا منهجه واستجابوا لدعوته .

وإذا كانت الأخرى - وهى عدم الإيمان بنبوة الداعى إلى الله - كان الرفض والإنكار من جانب الناس .

ومن هنا كان لا بد أن يكون النبى في أعلى درجات الكمال البشرى وأن يكون متحليا بأكمل الصفات البشرية لا سيما الصدق والأمانة فهما جوهر النبوة والأساس الذى يقوم عليه كيانهما . فلو أن البشر أحسوا من النبى كذبا أو خيانة لكان لهم العذر في رفضه وعدم اتباع دعوته لأنه غير أمين فيما يقول بل ومن المحال - في حقه تعالى - أن يرسل كذابا ليلبغ الناس شرعه ومنهجه وأن يأتى خائنا على دعوته ورسالته .

وإذا كان الله - عز وجل - يؤيد رسوله بالمعجزات الخارقة للعادات تصديقا له في رسالته ودعوته فإن ذلك بمثابة قوله: «صدق عبدي في كل ما يبلغ عني» ولا شك أن تصديق

الكاذب محال في حقه تعالى . وبالتالي فتأييد الخائن أو الفاسق غير جائز في حقه - تعالى لأن في ذلك تقريراً له على خيانتة وفسقه .

ومن هنا ندرك السر في أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - عندما بدأ دعوته استوثق لنفسه وأقام الحجة على قومه بأخذ اعترافهم وإقرارهم له بصدقه وذلك عندما صعد على أحد جبال مكة ونادى: «يا بنى فهر . يا بنى غالب يا بنى كذا يا بنى كذا ...» حتى اجتمعوا عليه فقال لهم أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً وراء هذا الوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا نعم ما جربنا عليك كذباً . قال فإني رسول لكم بين يدي عذاب شديد .»

ومن هنا كان ينبغي أن تكون صورة الرسول ناصعة البياض في نفوس الناس فإذا حدث فيها تشويه في أى كتاب من الكتب أو في أى دين من الأديان فإن ذلك يكون تحريفاً في هذا الدين أو في ذلك الكتاب .

ومن هنا ندرك أهمية البحث في هذا الموضوع الجليل وتحليلته ودراسته في الأديان الثلاثة اليهودية والمسيحية والإسلام لنرى وجه الحق في ذلك باعتبار أن هذه الأديان الثلاثة تقر بمبدأ واحد وهو الإيمان بالوحى فهناك - إذن - قاسم مشترك بينها .

فإذا بحثنا هذه القضية في كتاب كل دين من هذه الأديان تبين لنا الحق من الباطل وعرفنا الهدى من الضلال .

وبذلك ندرك ما حدث في بعضها من تحريف كلمات الله وتبديلها وبذلك يتعين على الناس اتباع الحق وهو دين الله الخالص الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ونبذ كل ما عداه .

والله الهادى إلى سواء السبيل .

الأنبياء عند اليهود :

١ - تمهيد :

سنعتمد - هنا - في عرضنا لصورة النبوة والأنبياء عند اليهود على كتابهم المقدس وهو التوراة وهى التى يسميها النصارى «العهد القديم» وهى تمثل جزءا من كتابهم المقدس وذلك لأن فى رأينا أن أساس أى دين من الأديان هو كتابه المقدس. فإذا كان هذا الكتاب هو ما نزل من عند الله حقا كان هذا الدين حقا. وأما إذا كان قد أصابه التحريف والتبديل ولعبت به أهواء أتباعه فغيروا وبدلوا حسب ما تأمرهم به أهواؤهم كان الدين الذى يعتقونه ديناً محرفاً وليس هو الحق الذى نزل من عند الله عز وجل .

ولعل من المسلم به لدى قارئى هذا الكتاب المقدس هو أنه يخرج بحقيقة لا يختلف فيها اثنان ممن يقرأون هذا الكتاب هى أنه لا يشعر بقداسة للدين ولا احترام للأنبياء الذين يعرض لهم بل ينتابه شعور مناقض لمفهوم الدين وغايته فى الإنسان وهو شعور الازدراء لهؤلاء الأنبياء والخط من شأنهم وانتزاع هيبتهم من النفوس فضلا عن اتباعهم واتخاذهم قدوة حسنة والائتمار بأمرهم والانتهاز بنهيهم واعتبارهم مثلاً علياً للبشرية فى سعيها نحو الارتقاء الخلقى وتحصيل الكمال الإنسانى واتخاذهم وسيلة فى معرفة الله عز وجل ونجاتهم فى الآخرة .

وذلك أن هذا الكتاب المقدس يعرض لنا الأنبياء فى صورة شائنة ذميمة لا تليق بمكانتهم عند الله وعند الناس بل تتنافى تنافيا تاما مع الهدف الذى جاءوا من أجله وهو هداية البشرية وإنقاذها من مهالك الرذيلة والأخذ بأيديها للتخلق بالأخلاق الفاضلة الحميدة فهم معلمو البشرية الإيمان والأخلاق الكريمة والتعالى على الرذيلة والقبائح ومرشدوها إلى طريق الخير والنجاة .

فلا يعقل - أبداً - عند كل ذى عقل سليم أن تكون هذه مهمتهم وتلك رسالتهم التى بعثوا من أجلها ثم يوصفون بتلك الصفات الشائنة القبيحة التى يتسامى عنها الإنسان العادى بل يأبأها وينفر منها أدنى الناس شأنا وأقلهم قدرا فضلا عن صفوة الخلق أنبياء الله .

وهذا إن دل على شئٍ فإنما يدل على أمرين ظاهرين: أولهما أن هذا الكتاب قد حرف عما كان قد نزل على موسى - عليه السلام - وأنه قد تعمد تحريفه وثانيهما: أن هؤلاء الذين قد قاموا بتحريف هذا الكتاب وكتابه قد تجردت نفوسهم من أى قداسة دينية ومن أى احترام للأنبياء .

ولذلك لا يجد القارىء لهذا الكتاب أدنى إشارة إلى اليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب وثواب وعقاب مع أن شريعة موسى - عليه السلام - جاءت لتدعو إلى الإيمان بالله واليوم الآخر شأنها شأن غيرها من شرائع الله عز وجل التى أنزلها على أنبيائه .

والمعهود فى التحريف أن يحرف الإنسان كتابه لصالح دينه وعقيدته ولكن ما نجده فى تحريف اليهود لكتابتهم أنهم يبرزون أنبياءهم فى صورة غير كريمة وغير لائقة بأنبياء الله الذين اختارهم لتبليغ رسالاته إلى خلقه وليكونوا لهم قدوة حسنة وهذا إن دل على شئٍ فإنما يدل على ما فى طبيعة هذا الشعب من كراهيتهم للدين - كما قلنا - وللأنبياء الذين أتوا لهم بهذا الدين . وهذا يفسر لنا موقفهم منهم على طول التاريخ من قتل فريق وتكذيب فريق آخر وأيضا لكى يسهل عليهم تبرير ذنوبهم ومعائبهم عندما ينكر عليهم منكر أو يعترض عليهم معترض .

فعداؤهم للأنبياء وعدم احترامهم للنبوّة والأنبياء يجرى فى عروقهم مجرى الدم ولعل هذا يفسر لنا كثرة إرسال الرسل فيهم لعنادهم ونفورهم من الدين وميلهم إلى تقديس المادة والإيمان بها .

ولهذا جاء القرآن الكريم كتاب الله الخاتم والمهيمن على ما قبله فصحح لهم وبين لهم الحق من الباطل وفصح موقفهم من التوراة ومن تحريفها وموقفهم من الأنبياء من القتل والتكذيب .

والمأمل فى هذه الصورة التى يعرض فيها الكتاب المقدس أنبياء الله يجد أنها تنقسم إلى قسمين أساسيين: فهو إما يعرضهم فى صورة تمتاز فيها أفعالهم بالخلل والجنون وبالكثير مما هو شاذ وقبيح مستفدّرتفر منه النفوس وذلك عند تنبئهم وتعرضهم لتلقى الوحي ، وإما يعرضهم فى صورة العاصين الذين يفعلون الرذيلة بل ويرتكبون أزدل الكبائر والفواحش وأقبحها. وكل هذه أمور تنزع من النفوس احترامهم وتدعو إلى الإغراض عنهم والنفور منهم .

القسم الأول :

في هذا القسم يصور الكتاب المقدس الأنبياء حال تنبئهم وتلقيهم الوحي وكأن النبوة أمر مسترذل ينبغي أن يقترن بكل ما هو مرذول من الأفعال الشاذة والقييحة بل والمخالفة لأبسط قواعد الذوق والتي قد تصل أحيانا إلى ارتكاب الفاحشة مما يدل على فقدان النبوة لجلالها وطهارتها في نفوس هذا الشعب الذي بلغت به الجرأة مبلغا يبرز فيه أنبياء الله بهذه الصورة الشائنة وذلك مما يبعث على الدهشة والاستغراب ولكن الدهشة والاستغراب يزولان عندما يتذكر الإنسان ما سجله الله عليهم في كتابه العزيز:

كقوله تعالى : « كَلَّمَآ جَاءَهُم رَّسُولٌ

بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ » (١) .

ونحن سنعرض هنا نماذج مما ورد في الأسفار المقدسة تصور أنبياء بنى إسرائيل أثناء تنبئهم وعندما غشيهم الوحي .

فها هو ذا «شاول» لا يتنبأ إلا بعد أن يتجرد من ملابسه ويتعري بين الناس كعادة غيره من الأنبياء وكأن العري هو إحدى وسائل استجلاب النبوة وقرين من قرائن حلول روح الله .

فذهب «شاول» إلى هناك إلى «نايوت» في الرامة فكان عليه أيضا روح الله فكان يذهب ويتنبأ حتى جاء إلى «نايوت» في الرامة فخلع هو أيضا ثيابه وتنبا هو أيضا أمام «صموئيل» وانطرح عريانا ذلك النهار كله وكل الليل - صموئيل الأول ١٩ : ٢٤ .

وبالمثل سار «أشعيا» عريانا بين الرجال والنساء والأطفال بعورته الغليظة ثلاثة أعوام استجابة للوحي كما يدعون (٢) .

(١) المائدة آية ٧٠ .

(٢) النبوة والأنبياء للمهندس أحمد عبد الوهاب ص ٢٠ .

وقد كان الوحى إلى «حزقيال» أن يأكل من عجين الشعير لمدة ٣٩٠ يوما وقد نجسه ببراز الإنسان فيكون ذلك آية لبنى إسرائيل .

«... وخذ أنت لنفسك قمحا وشعيرا وفولا وعدسا ودخنا وكرسنة وضعها فى وعاء واحد واصنعها لنفسك خبزا كعدد الأيام التى تتكىء فيها على جنبك ثلاثائة يوم وتسعين يوما تأكله وتأكل كعكا من الشعير على الخبز الذى يخرج من الإنسان تحبزه أمام عيونهم . وقال الرب هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطردهم إليهم فقلت آه يا سيدى الرب ها نفسى لم تتنجس ومن صباى إلى الآن لم أكل ميتة أو فريسة ولا دخل فمى لحم نجس فقال لى انظر قد جعلت لك خشى البقر بدل خبز الإنسان^(٣) حزقيال ٤ : ٩ - ١٥

هذه صورة عجيبة تعرضها لنا الأسفار المقدسة لهؤلاء الأنبياء ولكن هناك ما هو أعجب من ذلك . فها هوذا «هوشع» فى أول حالات النبوة التى مارسها يصدر إليه أمر إلهى بمعاشرة امرأة زانية لكى تفرخ له أولاد زنى كما يزعمون .

«أول ما كلم الرب «هوشع» قال الرب لهوشع اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى لأن الأرض قد زنت تاركة الرب فذهب وأخذ «جوسر» بنت «دبلايم» فحبلت وولدت له ابنا ثم حبلت وولدت له بنتا هوشع ١ : ٢ - ٦»^(٤) .

واستمر «هوشع» يتردى فى طريق الزانيات حيث كانت نبوءته التالية :

«تفرض عليه عشق امرأة متزوجة برجل يحبها لكنها تخونه وتزنى بأخرين حتى يأتى «هوشع» ويخطفها من تحت رجلها .

[«وقال الرب لى اذهب أيضا أحب امرأة حبيبة صاحب وزانية كمحبة الرب لبنى إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى - هوشع ٣ : ١»^(٥) .

(٣) النبوة والأنبياء للمهندس أحمد عبد الوهاب ص ٢١ .

(٤) نفس المرجع السابق ص ٢٢ .

(٥) نفس المرجع السابق ونفس الصحيفة .

إن هذا الذى يذكره الكتاب المقدس أمر غريب حقا يستدعى من كل ذى عقل وقفة تأمل وتدبر. فهل البارى سبحانه وتعالى عما يقولون يأمر بالفحشاء ؟ وهل من يفعل ذلك الفعل الشنيع يستحق أن يوقر ويحترم فى نفوس الناس فضلا عن أن يطاع ويتبع ؟ ولذلك يعقب الأستاذ أحمد عبدالوهاب على ذلك الموقف بقوله: «إن هناك بديهية يتفق عليها المؤمنون بالله ورسالاته هى أن أنبياء الله ورسله هم مثل عليا من البشر جعلهم الله أهلا للاقتداء ومن ثم وجب أن تكون صورهم أمامنا دائما غاية فى الحسن والصفاء. فإذا حدث وألقيت شبه حول سلوكهم أو التصق بقصصهم شئ من المثالب كان من اللازم تحييص هذا القول وذلك حتى يتميز الحبيث من الطيب ونستبين بذلك حقيقة المرسلين»^(٦).

القسم الثانى :

وحال الأنبياء فى هذا القسم ليس أفضل من سابقه بل هى أقبح وأسوأ وذلك لأن الكتاب المقدس يبرزهم فى صورة العاصين الذين يفعلون المنكرات بل ويرتكبون كبائر الفواحش والردائل المنافية لحسن الأسوة بل والمجرئة على الشرور والمفاسد .

فهو يذكر أن موسى وهارون عصيا ربها ولذلك حرم عليها دخول فلسطين بل إن هذا الكتاب المقدس يصور «هارون» بصورة المشرك بالله الذى أضل شعبه وذلك بأن صنع لهم عجلا وأمرهم بعبادته من دون الله . جاء فى الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج :

«ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ فى النزول من الجبل اجتمع الشعب على «هارون» وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذى أصدعنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه. فقال لهم «هارون» انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنياتكم واثنتونى بها فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى «هارون» فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التى اصعدتك من مصر فلما نظر «هارون» بنى مذبحا أمامه ونادى «هارون» وقال: «غدا عيد الرب» فبكروا فى الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للأكل والشرب قم قاموا للعب»^(٧).

(٦) نفس المرجع السابق ص ٢٨ .

(٧) الكتاب المقدس سفر الخروج الإصحاح ٣٣ ص ١٢٩ وما بعدها .

هكذا ينسب كتاب اليهود إلى «هارون» هذه الفعلة النكراء ولكن القرآن الكريم يبرى «هارون» من هذه التهمة ويبين الحق في ذلك وهو أن الذى أضل بنى اسرائيل بصنع العجل هو السامرى وليس «هارون» وذلك.

قال الله تعالى : «وَمَا أَجَلَكَ عَنْ
قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ
إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ
بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾» (٨).

وهو ينسب إلى نبي الله سليمان - أيضا - نفس التهمة وهى صنع تماثيل لتعبد من دون الله عز وجل. جاء في سفر الملوك الأول الإصحاح الحادى عشر .

«وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود أبيه فذهب سليمان وراء «عشتورت» إلهة الصيديونيين و«ملكوم» رجس العمونيين وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماما كدادو أبيه - حينئذ بنى سليمان مرتفعة «لكموش» رجس الموابيين على الجبل الذى تجاه «أورشليم» ولولك رجس بنى عمون. وهكذا فعل بجميع نساءه الغربيات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن فغضب الرب على سليمان لأنه قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذى تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصاه به الرب» (٩).

أما عن داود فإننا نجد الكتاب المقدس يعرضه في صورة الرجل الزانى الذى يسلك طريق الخيانة فيزنى بامرأة أحد جنوده في غيابه ثم يرسل به إلى ميدان القتال، ويرسل إلى

(٨) طه آية ٨٣ ، ٨٤ .

(٩) سفر الملوك الأول الإصحاح ١١ ص ٥٥٣ .

قائه «بواب» مكتوبا يقول له فيه «اجعلوا «أوربا» في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت»^(١٠) وذلك لكي يتخلص منه ويضم زوجته إليه .

وأما لوط فيعرضه في صورة لو نسبت إلى رجل فاسق لما قبلها ولنفر منها خجلا وحياء فكيف بنى من أنبياء الله جاء ليحارب الفاحشة في قومه وقد أهلكهم الله بسببها بعد أن نجاه الله منها فكيف يعقل أن يأتيها هو في أخس صورها وهي الزنى بابتنتيه بعد أن يسكر من الخمر ؟

جاء في الكتاب المقدس: «وصعد «لوط» من «صوغر» وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في «صوغر» فسكن في المغارة هو وابنتاه وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض هلم نسق أبانا خرا ونضطجع معه فنحى من أبينا نسلا فسقتاه خرا في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبى. فاسقيه خرا الليلة أيضا فادخل واضطجعى معه فنحى من أبينا نسلا فسقتا أباهما خرا في تلك الليلة أيضا وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوط من أبيهما فولدت البكر ابنا ودعت اسمه «مُؤَاب» وهو أبو «المُؤَابيين» إلى اليوم والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه «بَنُ عَمَّى» وهو أبو «بنى عَمُون» إلى اليوم»^(١١).

هكذا يصور الكتاب المقدس نبي الله «لوطا» لكي يحيط من شأن «المُؤَابيين» و «العَمُونيين» ليلحق بهم العيب والعار بأنهم من أصل زنى وهم أجناس أخرى غير بنى إسرائيل.

(١٠) سفر صموئيل الثاني الإصحاح الحادى عشر ص ٤٩٧ وما بعدها .

(١١) سفر التكوين الإصحاح التاسع عشر ص ٢٩ .

الأنبياء عند النصارى

تمهيد :

قبل أن نعرض لرأى النصارى فى الأنبياء ينبغى أن نشير إلى أمر واضح وهو أن توراة اليهود بأسفارها التسعة والثلاثين تمثل جزءا من الكتاب المقدس عند النصارى لأن عيسى - عليه السلام - ما جاء لينقض التوراة ولكن جاء مصدقا لها. فالكتاب المقدس عندهم قسمان التوراة وتسمى «العهد القديم» و«العهد الجديد» وهو يشمل الأناجيل الأربعة ورسائل الرسل . والكتاب المقدس بعهديه طبعته الكنيسة فى مجلد واحد وبذلك يكون كل ما جاء فى توراة اليهود عقيدة للنصارى .

ولذلك يقول الأستاذ/ عمر سليمان الأشقر: « ... والنصارى ليسوا بأفضل من اليهود فى هذا فقد نسبوا إلى الأنبياء والرسل القبائح وذلك بتصديقهم بالتوراة المحرفة المغيرة الموجودة اليوم» (١٢) .

ويقول الأستاذ/ محمد رشيد رضا: « .. والنصارى منهم - أى من أهل الكتاب - يجعلون معاصى الأنبياء دليلا على عقيدتهم وهى أن المسيح هو المعصوم وحده لأنه رب وإله ولأنه هو المخلص للناس من العقاب على الخطيئة» (١٣) .

وفى الحقيقة أن نظرة النصارى إلى أنبياء الله نظرة سيئة للغاية وذلك لأنها لم تقتصر على مجرد التصديق بما نسب به إليهم العهد القديم من الذنوب والمعاصى بل تجاوزت ذلك إلى رميهم بالجهل بالله وبالوحي فهم لم يعرفوا الله وبذلك سقطت البشرية التى سارت وراءهم فى الهاوية .

(١٢) الرسالة والرسالات للأستاذ/ عمر سليمان الأشقر ص ١٠٥ .

(١٣) الوحي المهدى ص ٥١ للأستاذ / محمد رشيد رضا .

ونحن لكى ننصف القوم سنعمد فى توضيح رأيهم على ما كتبه المسيحيون أنفسهم وعلى ما ورد فى كتابهم المقدس حتى لا نتجنى عليهم فيما نذهب إليه وحتى لا نتزيد عليهم بشئ لم يقوله وذلك كما فعلنا مع اليهود فى عرضنا لآرائهم من خلال ما جاء فى كتابهم المقدس وبذلك يظهر لنا وجه الحقيقة المشرق كما جاء بها الإسلام من تكريم الأنبياء ووضعهم فى الوضع الذى يتناسب والهدف الذى جاءوا من أجله .

موقف النصارى من الأنبياء :

إن المتأمل فى موقف المسيحيين من النبوة والأنبياء تنتابه الدهشة والاستغراب وبأخذه العجب فى ذلك .

وذلك لما يرى فى هذه الآراء من تناقض ومنافاة للعقل والمنطق ولما فيها من تهافت ومخالفة للواقع وللحقيقة التى يقوم عليها جوهر النبوة .

فهم يجردون أنبياء الله السابقين على عيسى من كل معرفة بالله عز وجل ولذلك لم يتم الإعلان الإلهى على أيديهم - فإله لم يعلن عن نفسه لهؤلاء الرسل بل ظلوا جاهلين بالله حتى جاء عيسى - عليه السلام - وتم على يديه الإعلان الإلهى .

وقد استغلوا - فى ذلك - ما نسبته التوراة «العهد القديم» إلى الأنبياء من الذنوب والمعاصى لكى يؤيدوا ما يذهبون إليه من جهلهم بالله - بل حتى بكلمات النبوة فكانت تمر على شفاههم دون أن يعقلوا لها معنى .

ونحن سنعمد - فى بيان ذلك - على ما كتبه المسيحيون المعاصرون أنفسهم وهم متعصبون لدينهم حتى لا أكون قد تجاوزت المنهج العلمى فى ذلك وسأترك لواحد منهم وهو «مكس ميشيل» عرض هذه القضية بنفسه ولا يكون لى إلا مجرد الاستنتاج أو التعليق لأن ذلك أدعى إلى الإنصاف وأبين للحقيقة.

يقول مكس ميشيل فى كتابه «صورة الله» : «من عرف الله ؟ وإذا فرغنا من السؤال «من رأى الله ؟» وانتهينا أن أحدا لم يره قط وجدنا أنفسنا فى مواجهة سؤال أشد قوة وتحديا لتفكيرنا وإيماننا وهو: «من عرف الله ؟» فإذا كان الله لم يره أحد فإن الله لم يعرفه أحد. وإذا كان

الأنبياء لم يروا الله فهم بالتالى لم يعرفوه. وإذا كان الأنبياء هم واسطة تعريف البشر بالله وهم أنفسهم لم يعرفوه فهذا معناه أن البشرية لم تتعرف على الله .

وقد سقط كل البشر وكل الأنبياء فى الحفرة وشهد «داود» فى المزامير «ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد حتى الأنبياء» مزامير ١٤ : ١ . فموسى عصى ربه فى برية صين^(١٤) الأمر الذى استوجب لأجله الحرمان من دخول أرض الموعد بعد رحلة شاقة مع شعب إسرائيل طولها اربعون سنة وداود النبى زنى مع امرأة جاره وأحد ضباط جيشه «أوريا» الخشى فى غيابه فى الحرب . وخادع يعقوب أخاه عيسو^(١٥) وصار كل واحد منهم محتاجا أن يرفع عنه وزره الذى ينقض ظهره وأن يغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

والنتيجة الحزينة التى لا بد أن نخرج بها من الإجابة على هذين السؤالين هى أن البشرية التى سارت وراء الأنبياء ابتغاء الوصول إلى الله سارت وراء من لم يروا الله ولم يعرفوه»^(١٦) .

هذه صورة يرسمها الكاتب لأنبياء الله وفيها من الجرأة على أنبياء الله عز وجل ما لا يخفى على كل إنسان مؤمن عاقل وهى فى الوقت نفسه تحمل تناقضا عقليا صارخا فهى تأتى على حقيقة النبوة من أساسها .

وذلك لأن الأنبياء إذا كانوا لم يعرفوا الله - عز وجل - فضلوا وأضلوا أو سقطوا فى الحفرة - على حد تعبير الكاتب نفسه - فما معنى إرسالهم ؟ وما حقيقة نبوتهم ؟ وإذا كان المرسل - وهو الله عز وجل - لم يعرفهم بنفسه فكيف يطلب منهم دعوة العباد إلى عبادته وهو غير معروف لديهم ؟ أو يعبد مجهول ؟ أليس هذا تناقضا مع أبسط قواعد العقل ومبادئه ؟ .. ويقول فى موضع آخر : «فكل الأنبياء لم يفهموا الله ولم يعرفوا مشيئته فقد كانوا جميعهم جالسين فى الظلمة وظلال الموت»^(١٧) .

(١٤) سفر العدد ٢٧ ، ١٤ .

(١٥) سفر التكوين ٢٧ : ١٩ .

(١٦) كتاب صورة الله لكس ميشيل طبع القاهرة سنة ١٩٨١ ص ٩ ، ١٠ .

(١٧) صورة الله لكس ميشيل ص ٢٧ .

« ... ولهذا فإن حجم الإعلان الإلهي الذي منح البشرية بواسطة الأنبياء آنذاك كان كحجم كمية النور التي تمنحها بدايات شعيرات الفجر الرقيقة في حلقة الليل وظلامه الدامس .

كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتيا إلى العالم ولم يكن قد أتى بعد وكان النور سيضيء في الظلمة كافججار رهيب يمسح الظلمة ويبهرها إشراقه ولن تستطيع الظلمة أن تدركه ولكنه لم يكن قد أضاء بعد»^(١٨) .

والكاتب يرمى من وراء ذلك - كما هو واضح من النص - إلى أن الإعلان الإلهي الصحيح لم يحدث على أيدي الأنبياء وإنما حدث على يد المسيح فقط فهو الذي أعلن عن الله حقيقة أما غيره من الأنبياء فهم جهلاء بالله ولم يعرفوه والمؤلف يسوق فكرته هذه في عبارات خيالية غريبة خالية من مدلولاتها ودون أن يسندها أى دليل من أى نوع من أنواع الأدلة بل راح يذكر عبارات إنشائية خالية من أى صبغة عقلية أو منطقية تكون مقبولة لدى العقل ومقنعة له .

ودون أن يفكر الكاتب فيما يترتب على ذلك من العبث والهزل في جانب مقام الألوهية وذلك لأن الله يكون قد أرسل رسلا بدون هدف فهو يكون قد طلب منهم أن يدعوا العباد إلى معرفته التي لم يعرفهم بها ولم يطلعهم على حقيقتها بل ظل حارما الأنبياء منها إلى أن أعلنها على عهد المسيح . أليس هذا عبثا وهزلا يتنزه عنه مقام الألوهية التي جاء المسيح مبلغا عنها ؟ إن الكاتب هنا يرتكب مخالفات كثيرة سواء ضد العقل أو الدين لكي يثبت فكرة لا حقيقة لها ولا دليل عليها وهي أن المسيح ابن الله جاء من عند الله ليخبر الناس عن حقيقته لأنه الوحيد الذي رأى الله أباه تعالى الله عما يقول علوا كبيرا . وهو يستغل في ذلك ما جاء في العهد القديم من وقوع الأنبياء في الذنوب والمعاصي ليرميهم بالجهل وعدم الاستحقاق لمعرفة الله عز وجل . بل وبدعم فهمهم حتى للكلمات التي نطقوا بها عن الوحي فهم تنبنوا ولكن لا يدرون عن أى شيء يتبنون ولا شك أن هذا أسوأ تصوير لأنبياء الله عليهم السلام - وفي الوقت نفسه فيه انتهاك شنيع لحرمة النبوة بل وتجروء على مقام الألوهية ذاته فإذا كان هؤلاء

(١٨) نفس المرجع السابق ص ٢٨ .

الأنبياء لا يدرون عن أى شئ يتنبئون فأولى بهم أن لا يستحقوا أن يوصفوا بهذا الوصف لأن نبوتهم باطلة وبالتالي ما أتوا به من الكتب مبلغين إياها عن الله - عز وجل - تكون باطلة فتفقد المسيحية جزءا من كتابها المقدس «وهو العهد القديم» لأنه نزل على أنبياء قبل عيسى وهم لا يعرفون عن أى شئ يتنبئون .

يقول الكاتب: «... والتصور الذى صادف الوحي في العهد القديم - في إعلان الله لم يكن لعب في الوحي والإلهام ولكنه لمحدودية أو انعدام الرؤية في الجهاز الذى يستقبل الوحي أى النبي نفسه»^(١٩) .

ويقول: «والله لم يتغير في العهد الجديد عنه في العهد القديم فهو هو أمس واليوم وإلى الأبد . ولكن رؤيتهم في العهد القديم وإدراكهم وفهمهم لله هو الذى كان قاصرا إلى أن جاء النور الحقيقى وحيد الأب الذى رأى الله فخير عنه فرأينا إله المحبة أبا يسوع ربنا .

هذا من جهة رؤيتهم ومعرفتهم لشخصه وإدراكهم لمشيئته وتديره في حياة الناس وهذا بدوره انعكس على أسلوب حياتهم فقتلوا وأحرقوا وأهلكوا .

وأما من جهة الكلمة النبوية فقد نطقوا بها دون أن تمر على إدراكهم فقد تكلموا مسوقين من الروح القدس وهم لا يعرفون بالضبط عن أى شئ يتنبئون»^(٢٠) .

هكذا تبدو صورة الأنبياء في الفكر المسيحي وأبسط ما يقال فيها أنها مناقضة للعقل وللدين فبدلا من أن يبدو في صورة الصفاء والنقاء وقد اتصفوا بكل كمال إنسانى لأنهم هم الصفوة المختارة من الخلق اختارهم الله ليكونوا مصابيح هدى وقدة حسنة للبشرية بدلا من هذا أظهروهم وهم متصفون بالنقائص وبالجهل بالله وبالوحي .

وفي رأينا أن السبب في ذلك إنما هو التحريف الذى حدث في الكتاب المقدس مما جعل أعداء الأنبياء يظهرهم في هذه الصورة المنكرة .

(١٩) نفس المرجع السابق ص ٥٥ .

(٢٠) نفس المرجع السابق ص ٦٥ .

ولهذا نرى الكاتب يصرح بذلك في جرأة فائقة فيقول: «من أجل ذلك امتلأ العهد القديم برائحة الجيف المتعفنة في البرارى تفوح برائحة الموت الكريهة وشر الإنسان ووحشيته» (٢١) .

ولهذا نرى أنه ينبغي لنا التعرض لمسألة تحريف الكتاب المقدس إتماما لموقف الطائفتين - اليهود والنصارى - من الأنبياء وإبراز الحقيقة ديانتية وما أصابها من التغيير والتبديل .

تحريف الكتاب المقدس :

يتضح لنا من خلال ما عرضناه فيما سبق من موقف الكتاب المقدس من أنبياء وتصويرهم بهذه الصورة التى تتنافى مع ما لهم من العصمة والكرامة يتضح لنا أن هذا الكتاب المقدس قد أصابه التحريف وأنه لا يمكن أن يكون هو التوراة التى أنزلت على موسى ولا الإنجيل الذى أنزل على عيسى وإن كان بعض الكتاب المسيحيين يحاول الدفاع عن ذلك والدعوى بأن الكتاب المقدس لم يحرف .

وفى رأينا أن مسألة تحريف الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) مسألة لا تحتاج إلى دليل عليها لأن هذه حقيقة يدركها أى قارئ لهذا الكتاب فما أن يمضى بضع صفحات فى قراءته حتى تتراءى له تلك الحقيقة واضحة كالعيان ومائلة أمام عينيه فى كل صفحات الكتاب. ويكفى فى ذلك موقفه من أنبياء الله وتصويرهم بهذه الصورة التى عرضناها فيما سبق .

ونحن سنكتفى هنا - بذكر بعض فقرات مما كتبه بعض المسيحيين فى هذا الموضوع والتعليق عليها ليتبين لنا أن مسألة الدفاع عن تحريف الكتاب المقدس مسألة واهية لا تحتاج فى دفعها إلى كبير عناء .

يقول القس «صموئيل مشرقى» فى كتابه «عصمة الكتاب المقدس واستحالة تحريفه» فى معرض دفاعه عن عصمة الكتاب المقدس: «لأن كتابات التوراة والإنجيل قد نزلت على أنبياء ورسل عديدين قد بلغوا أربعين شخصا وقد استغرقت التوراة «العهد القديم» نحو ألف

(٢١) نفس المرجع السابق ص ٢٩ .

سنة في كتابتها وقد تمت كتابة الإنجيل «العهد الجديد» خلال عدة قرون أخرى وليس هذا بالأمر الهين .

وقد بدأ موسى كليم الله منذ ثلاثة آلاف سنة بكتابة التوراة مبتدئاً بأسفارها الخمسة الأولى المنسوبة إليه وكان ذلك بطريقتي «الإعلان المباشر» فيما يختص بالحقائق التي لم تكن معروفة من قبل و«التاريخ المقدس» وهو ما قام بتدوينه بأمر الله بعد أن نشأت العلاقة بينه - تعالى - وبين شعبه» فكتب تاريخهم كما كتب مخارجهم برحلاتهم حسب قول الرب»^(٢٢) . يشير الكاتب - في هذا - النص إلى دعويتين أساسيتين :

- ١ - الدعوى الأولى هي أن كتابة الكتاب المقدس قام بها أنبياء عديدون .
- ٢ - الدعوى الثانية أن موسى - كليم الله هو الذى قام بكتابة الأسفار الخمسة المنسوبة إليه والأسفار الخمسة التى يشير إليها الكاتب هي - سفر التكوين - والخروج - والتثنية - والعدد - واللاويين .

أما الدعوى الأولى فهي - تحمل في طياتها - عوامل رفضها ونقضها. وذلك لأن الكتاب المقدس نفسه ينفي العصمة عن الأنبياء ويثبت لهم الكذب والخيانة والغش والخداع وغير ذلك من أنواع المعاصي.

واليهود والنصارى مجتمعون على ذلك . وقد عرفنا موقفهم من الأنبياء من خلال عرضنا السابق لهم - بل إن النصارى يزيدون على ذلك ويرمونهم بالجهل بالله وبالوحي وبأنهم قد نطقوا بكلمات الوحي من غير أن يدركوها وأنهم قد تنبؤوا من غير أن يعرفوا عن أى شئ تنبؤوا ولا شك أن من هذه صفاتهم لا يمكن أن يكونوا معصومين فيما يقولونه ومؤمنين فيما يبلغونه اللهم إلا إذا ألغينا عقولنا وتفكيرنا وتجردنا من كل المقاييس العقلية التى تميز الإنسان وتكون حقيقته وجوهره بكونه إنسانا .

فأهل الكتاب بموقفهم هذا من أنبياء الله عز وجل - قد هدموا كل حقيقة عقلية أو دينية. وبالتالي أصبحت دعوى عصمة الكتاب المقدس دعوى باطلة لأن الذين قاموا بكتابتها غير

(٢٢) عصمة الكتاب المقدس واستحالة تحريفه للقس صموئيل مشرقى ص ١٧ ط القاهرة سنة ١٩٨٠ .

معصومين لأنه قد ثبتت لهم صفات الكذب والخيانة والخداع والغش فيكونون بذلك قد نقضوا أساس دينهم بأنفسهم .

أما الدعوى الثانية وهى أن موسى هو الذى كتب الأسفار الخمسة بنفسه فهى دعوى مرفوضة أيضا - يعرف ذلك من قرأ هذه الأسفار الخمسة . وذلك لأن هذه الأسفار تتحدث عن موسى بصيغة الغائب لا بصيغة الحديث عن النفس مما يدل على أن الكتابة قد حدثت بعد موسى قام بها مؤرخون قد كتبوا هذا التاريخ من ذاكرتهم فجاء فيه الخطأ والصواب واختلط فيه الحق بالباطل .

بل إن هناك دليلا أقوى من هذا وأظهر وذلك أننا نجد هذه الأسفار التى تنسب كتابتها إلى موسى - حديثا عن موت موسى ودفنه وأن قبره غير معروف إلى اليوم وأنه لم يظهر بعد موسى رجل مثله وأن بنى إسرائيل بكوا موسى ثلاثين يوما . ولا يمكن أن يصدق عقل أن موسى هو الذى كتب هذا عن نفسه بعد موته .

ونحن سننقل هنا بعض النصوص - وهى كثيرة جدا إن لم نقل جل هذه الأسفار على هذا النمط - لندلل بها على صحة ما نقول :

فكثيرا ما نجد فيها مثل هذه العبارات: «وأوصى موسى وشيوخ إسرائيل الشعب» «ثم كلم موسى والكهنة اللاويون جميع إسرائيل قائلين» «ودعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم ...»

وجاء فى سفر التثنية الإصحاح الحادى والثلاثين: «أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلا: خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهدا عليكم لأنى عارف بمرادكم ورقابكم الصلبة هوذا وأنا بعد حى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتى. اجمعوا إلى كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق فى مسامعكم بهذه الكلمات .

فنطق موسى فى مسامع كل جماعة إسرائيل بكلمات هذا النشيد» (٢٣) .

(٢٣) الكتاب المقدس سفر التثنية الإصحاح الحادى والثلاثين .

فلا شك أن من يقرأ هذه النصوص بل وكل نصوص الأسفار الخمسة يدرك بأن هناك من يؤرخ لموسى وما حدث معه وما أخبر به لا أن موسى هو الذى كتب ذلك يدلنا على ذلك - أيضا - ما جاء فى سفر التثنية «وصعد موسى من «عربات مُوآب» إلى جبل «نَبُو» إلى رأس الفسحة الذى قبالة «أريحا» فأراه الرب جميع الأرض من «جِلْعَاد» إلى «دَان» وجميع «نَفْتَالِي» وأرض «أفرايم» و«مَنَسَّى» وجميع أرض يهوذا» إلى البحر الغربى والجنوب والدائرة «نَقْعَة أريحا» مدينة النخل إلى «صُوعَر» .

وقال له الرب : هذه هى الأرض التى أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها قد أريتكَ إياها بعينك. ولكن إلى هناك لا تعبر .

فمات - هناك - موسى عبد الرب فى أرض «موآب» حسب قول الرب ودفن فى الجواء فى أرض «موآب» مقابل بيت «فَقُور» ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم . وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته فبكى بنو إسرائيل موسى فى «عربات مُوآب» ثلاثين يوما فكملت أيام بكاء مناحة موسى» .

« ... ولم يَقم بعدُ نبي فى إسرائيل^(٢٤) مثل موسى الذى عرفه الرب وجهها لوجه فى جميع الآيات والعجائب ..»

ولا ريب أن هذا النص قاطع وصريح فى أن موسى لم يكتب هذه الأسفار وإنما كتبها - كما قلنا - مؤرخون أروحو لموسى وما حدث له وما أخبر به بل إن فى النص ما يشعر بأن هؤلاء المؤرخين الذين كتبوا هذه الأسفار كانوا متأخرين عن موسى بزمن بعيد يسمح بجهل قبره ومكانه فإن جهل قبر رجل عظيم كموسى كان له تأثير بالغ فى حياة بنى إسرائيل لا يمكن أن يحدث عن قرب وبسهولة بل لا بد أن يكون قد تقدم عليه العهد حتى جهل مكانه .

ولذلك لا ندرى ما المقصود باليوم الذى تشير إليه «عبارة» «ولم يعرف قبره إلى هذا اليوم» وأيضا عبارة «ولم يَقم بعدُ نبي فى إسرائيل مثل موسى» دليل قاطع - أيضا - على صدق ما نذهب إليه .

(٢٤) الكتاب المقدس سفر التثنية الإصحاح الرابع والثلاثون .

فإذن القول بأن هذه التوراة الحالية والموجودة بين أيدينا هي من كتابة نبي الله موسى - عليه السلام - ضرب من المكابرة والاستخفاف بالعقل لا يمكن قبوله .

وأما عن الإنجيل - وهويثل جزءا من الكتاب المقدس .. فيقول الكاتب: «... فإنه - من المعلوم أن المسيح نفسه لم يكتب شيئا . وما الإنجيل الذى دعا إليه فى أعقاب دعوة المعمدان سوى بشارة التوبة والإيمان بملكوت الله وكان يقدمه شفاها دون أن يكون تنزيلا مكتوبا كما يترأى لمن يطعن فى الإنجيل باطلا بقوله: بأن الإنجيل الصحيح هو الذى نزل على المسيح لا الذى كتب عنه من بعده بزعم أن الأناجيل التى كتبت عنه ليست هى الإنجيل مع ما فى ذلك من بطلان لأن الأناجيل الأربعة إنما هى إنجيل واحد قام بكتابته أربعة بشيرين كل من زاويته الخاصة...» (٢٥) .

هذا النص يشير إلى نقطتين أساسيتين :

١ - النقطة الأولى هى اعتراف الكاتب بأن المسيح جاء بإنجيل وأن هذا الإنجيل ليس فيه إلا التوبة والإيمان بملكوت الله - عز وجل - وهذا القول حق لأن المسيح جاء - كغيره من الرسل - يدعو إلى الإيمان بالله وتوحيده وهذا هو دين الله الذى جاء به الرسل جميعا من عند الله عز وجل . والمسيح شأنه فى ذلك شأن غيره من الرسل فهو ليس بدعا فى هذا وهذا الإنجيل الذى جاء به عيسى هو الذى صدقه القرآن الكريم كما صدق التوراة التى جاء بها موسى عليه السلام . وهو كتاب النصرانية الصحيحة لأنه مما ينبغى ألا يقبل الجدل أن أساس أى دين سهاوى آت من الله عز وجل هو كتابه الذى جاء به رسول هذا الدين لا ما تدخلت فيه عقول البشر واجتهاداتهم .

ومعلوم أن هذا الإنجيل ليس فيه تثليث ولا دعوة إلى بنوة عيسى لله - سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا - ولا دعوة إلى ألوهيته - لأنه - كما يذكر الكاتب - ليس فيه إلا بشارة التوبة والإيمان بملكوت الله» .

(٢٥) عصمة الكتاب المقدس واستحالة تحريفه للقس صموئيل مشرقى ص ١٨ وما بعدها .

وهذا اعتراف ضمنى بتحريف الأناجيل الأخرى التى فيها بنوة عيسى أو الوهيته لأن المفروض فى الدين أن يستمد أصول عقيدته من رسوله الذى أتى به وعيسى ما أتى إلا ببشارة التوبة والإيمان بملكوت الله - عز وجل .

٢ - النقطة الثانية هى أن الأناجيل الأربعة كتبت بعد المسيح بمدد متفاوتة وكل كاتب كتب من زاويته الخاصة فتكون هذه الأناجيل هى أيضا تأريخا لحياة المسيح وما حدث له أو أخبر به. وكل كاتب أملى من ذاكرته بحسب ما تيسر له ولذلك جاء فيها ما هو باطل وما هو حق ومن هنا حدث التناقض والاختلاف .

فدعوى أن الأناجيل الأربعة إنجيل واحد كتبها أصحابها بوحى من الله دعوى باطلة لأن التناقض والاختلاف الموجود بين هذه الأناجيل يثبتان بطلان هذه الدعوى. فمثلا الأناجيل التى تتحدث عن سلسلة نسب المسيح كل منها يذكر سلسلة تغاير السلسلة الأخرى^(٢٦) فى نسب المسيح وأيضا عندما تحدثت هذه الأناجيل عن قيامة المسيح من قبره وظهوره لتلاميذه تضاربت أقوال هذه الأناجيل واختلفت فيما بينها اختلافا كبيرا^(٢٧).

فلا يمكن أن تكون هذه الأناجيل كتبها أصحابها بوحى من الله ويحدث بينها هذا التناقض والاختلاف لأن ما كان من عند الله لا يمكن أن يتناقض أو يختلف .

وبالتالى لا تكون هذه الأناجيل معصومة من الخطأ بل هى تاريخ حياة المسيح فيه الخطأ وفيه الصواب، كتبها أصحابها كل من زاويته الخاصة - كما يقول الكاتب - وبذلك تفقد المسيحية الحالية جوهر الدين الحق وهو كتاب موحى به من الله عز وجل الذى أنزل هذا الدين ليتعبد به عباده البشر .

إذن فالكتاب المقدس الذى هو بين أيدينا الآن كتاب محرف قد حدث فيه تحريف بأى نوع من أنواع التحريف بالحذف أو التغيير فدعوى عصمته بعد ذلك دعوى باطلة يكذبها العقل والواقع .

(٢٦) تراجع فى ذلك سلسلة نسب المسيح فى أول الأناجيل .

(٢٧) تراجع قيامة المسيح من قبره فى هذه الأناجيل .

الأنبياء في الإسلام :

صورة الأنبياء عند علماء المسلمين :

عرفنا - فيما سبق - نظرة اليهود والنصارى إلى الأنبياء وأنها نظرة فيها من الشين والمهانة ما فيها لأنهم نسبوا إليهم أشياء تحط من شأنهم وتنتقص من أقدارهم في أعين الناس فالأنبياء عندهم ليسوا معصومين وبذلك يكونون - بهذا التصور - قد أخرجوا أنبياءهم وأبعدوهم عن دائرة النبوة وفي هذا مناقضة للعقل والواقع.. يقول الأستاذ/ وحيد الدين خان.

«في رأيي أنه لا بد من مقياسين لاختبار الأنبياء:

أولا : أن يكون رجلا مثاليا بصورة غير عادية فإن الذى يصطفى ليكون كليم الله. وليكشف للإنسان برنامج الحياة وسرها لا بد أن يكون أسمى شخصية في النوع الإنسانى كما لا بد أن يكون حاملا مثل الحياة العليا . فإذا كانت حياته الذاتية متصفة بهذه الصفات فهي أكبر دليل على ما يقول. إذ لو كانت دعواه باطلة لما كان ممكنا أن تتجلى هذه الحقيقة الكبرى في حياته الذاتية حتى نسمو به فوق سائر الإنسانية خلقا وشأنا .
ثانيا : أن يكون كلامه ورسالته مملوءين بجوانب يستحيل حصولها للإنسان العادى ولا تؤمل إلا ممن ظفر بمعرفة رب الكون بحيث لا يمكن للعامة محاكاة ما جاء به النبى من وحى الله» (٢٨) .

ونحن إذا ما أخذنا هذا المقياس العلمى الذى يذكره الأستاذ/ وحيد الدين خان وطبقناه على ما لدى اليهود والنصارى من تصور للأنبياء - على ما يعطيه كتابهم المقدس - لوجدناهم بعيدين كل البعد عن حقيقة الأنبياء بهذا المفهوم .

ولذلك ينبغي لنا أن نتعرف على موقف الإسلام من هذه القضية الجلية التى لها خطرها فى شأن العقيدة وفى اتباع ما أتوا به لهداية البشرية حتى يتبين لنا وجه الحق فى ذلك .

يقول الأستاذ/ محمد رشيد رضا فى كتابه «الوحى المحمدى»: «إذا كان إرسال الأنبياء إلى

(٢٨) - الإسلام يتحدى للأستاذ/ وحيد الدين خان ص ١٥٨ .

البشر لهدايتهم إلى تزكية نفوسهم بما تصلح به أحوالهم في دنياهم ويستعدون به لحياة أعلى من هذه الحياة الدنيا في نشأة أخرى فلا يتم هذا الغرض ولا تتحقق هذه الحكمة إلا إذا كان هؤلاء الأنبياء أهلاً لأن يقتدى بهم في أعمالهم وسيرتهم والتزام الشرائع والآداب التي يبلغونها عن ربهم . ومن ثم قال علماؤنا بوجوب عصمة الأنبياء من المعاصي والردائل وبالغ بعضهم فيها حتى قالوا بعصمتهم من الذنوب الصغائر كالكبائر قبل النبوة وبعدها» (٢٩) .

ويقول القرطبي: «اختلف العلماء هل وقع من الأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - صغائر من الذنوب - بعد اتفاقهم على أنهم معصومون من الكبائر ومن كل رذيلة فيها شين ونقص إجماعاً .

فقال جمهور الفقهاء إنهم معصومون من الصغائر كلها كعصمتهم من الكبائر أجمعها لأن أمرنا باتباعهم في أفعالهم وآثارهم وسيرهم أمراً مطلقاً من غير التزام قرينة فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم . إذ ليس كل فعل من أفعالهم يتميز مقصده من القرينة والإباحة أو الخطر والمعصية» .

وقال أبو إسحاق الأسفراييني من علماء أهل السنة لا يقع من الأنبياء ذنوب لأنهم معصومون من الكبائر والصغائر وذلك مقتضى دليل المعجزة . وقال بعضهم بوقوع الصغائر منهم ولا أصل لهذه المقالة . والذي عليه الأكثر أن ذلك غير جائز عليهم» (٣٠) .

وهذا يدلنا على أن نظرة علماء الإسلام إلى أنبياء الله - عز وجل - على أنهم هم صفوة الخلق وأكملهم وأفضلهم ولذلك فهم مجمعون على أنهم معصومون من الكبائر كلها بل وذهب جمهورهم إلى أنهم معصومون من الصغائر كعصمتهم من الكبائر .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل وهي أن صورة أنبياء الله - عز وجل - التي تعيش في وجدان علماء الأمة الإسلامية وفي تفكيرهم هي صورة النقاء والطهر في أعلى درجاتها . فهم يجب لهم كل كمال إنساني .

(٢٩) الوحي المحمدي ص ٥٠ .

(٣٠) تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٠٨ .

حتى إن من جَوَزَ حدوث هفوات منهم أخبر بأن ذلك سيئات بالنسبة لهم لأنهم في قمة الكمال الإنساني ولكنه حسنات بالنسبة لنا ولذلك فهذا لا يقدر في أقدارهم ولا يخل بمناصبهم كأنبياؤه - عز وجل - جاءوا ليقتدى بهم البشر وليتبعوهم في كل ما أتوا به .

فما إن تقع المهفوة من أحدهم حتى يسارع إلى التوبة والإنابة إلى الله - عز وجل والاستغفار من ذلك فيقبل الله توبته وإنابته ويغفر له هفوته .

يقول القرطبي في ذلك :

«...وقال بعض المتأخرين: الذي ينبغي أن يقال إن الله - تعالى قد أخبرنا بوقوع ذنوب من بعضهم ونسبها إليهم وعاتبهم عليها وأخبروا بها عن أنفسهم وتصلوا منها وأشفقوا منها وتابوا .

وكل ذلك مما لا يزرى بمناصبهم وإنما وقعت على جهة الخطأ والنسيان فهي بالنسبة إلى غيرهم حسنات وفي حقهم سيئات. ولقد أحسن الجنيد حيث يقول: «حسنات الأبرار سيئات المقربين» (٣١) .

هذه صورة أنبياء الله - عند علماء الأمة الإسلامية - وهي صورة طاهرة نقية تتناسب مع أقدارهم ورسالاتهم التي جاءوا بها للبشر لهدايتهم ، وهي صورة مستمدة من القرآن الكريم وهو كتاب الله الخاتم الذي نزه الأنبياء عن النقائص وأتى عليهم ثناء حسنا وبرأهم مما نسب إليهم اليهود والنصارى من المعاصي والنقائص المخلة بمكانتهم .

ونحن سنذكر هنا - طرفا من نصوص القرآن الكريم التي تحدث فيها عن أنبياء الله الكرام لندرك الفارق بين الصورتين. الصورة التي يرسمها الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى. والصورة التي يرسمها لهم القرآن الكريم والصورتان متناقضتان تناقض الباطل والحق .

(٣١) تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٠٩ .

صورة الأنبياء في القرآن الكريم :

يقول الله - عز وجل - في الرسل جميعا :

« اللَّهُ يُصْطَفِي مَنِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ

اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ » (٣٢) .

ويقول : « سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ

عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ . » (٣٣) .

وكقوله تعالى : « أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ

عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ

وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا

إِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا .. » (٣٤)

(٣٢) الحج آية ٧٥ .

(٣٣) الصافات آية ١٨٠ وما بعدها .

(٣٤) مريم آية ٥٨ .

ويقول في «هارون» ليرثه من التهمة التي رماه بها اليهود من صناعة العجل وعبادته
فيثني عليه ويذكر أن الذي صنع العجل هو السامري وأن هارون نصح بنى اسرائيل ولكنهم
لم يسمعوا له قولاً

قال الله تعالى : « قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ

بِمَلِكَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدْ فَتَنَّا

فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا

لَهُمْ خُورًا فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾

أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا

وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ

إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا

أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا

مُوسَى ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْتَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾

أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ...» (٣٥) .

(٣٥) طه من آية ٨٧ إلى آية ٩٠ .

ويقول فيه أيضا وفي موسى : « سَلِّمْ عَلَى

مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾
إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ » (٣٦) .

ويقول في لوط الذى اتهمه الكتاب المقدس بأنه سكر وزنى
بأبنتيه :

« وَلُوطًا أَتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ
الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ^ط إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ
سَوَاءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا^ط إِنَّهُ مِنْ
الصَّالِحِينَ » (٣٧) .

ويقول في داود الذى اتهمه الكتاب المقدس - أيضا بأنه زنى بزوجة أحد جنوده وألقى به
في أتون الحرب لكى يتخلص منه ليأخذ زوجته :

قال الله تعالى : « أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْخُلْ
عِبَدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ^ط إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ

(٣٦) الصافات من آية ١٢٠ إلى ١٢٢ .

(٣٧) الأنبياء آية ٧٤ ، ٧٥ .

مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿٣٨﴾ وَالطَّيْرَ مُحْشُورَةً
كُلُّ لَهُ - أَوَّابٌ ﴿٣٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاثَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ
وَفَصَّلَ الْخُطَابَ « (٣٨) .

ويقول في سليمان الذى اتهموه بصناعة التآثيل وعبادتها من دون الله :

« وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ » (٣٩) .

ويقول فيه أيضا : « وَإِنَّا لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنِ مَعَابٍ » (٤٠)

هذا طرف يسير مما ورد في القرآن الكريم بشأن الأنبياء الذين اصطفاهم - عز وجل -
لحمل رسالاته إلى الناس لهاديتهم وإرشادهم وفيه تبدو صورتهم بيضاء مشرقة تتناسب والهدف
الذى أرسلوا من أجله وهو دعوة الناس إلى الحق وإلى التسامى فوق النقائص والرزائل وإلى
تزكية نفوسهم من الذنوب والمعاصى .

والله يهذى من يشاء إلى صراط مستقيم .

(٣٨) ص من آية ١٧ إلى آية ١٩ .

(٣٩) ص آية ٣٠ .

(٤٠) ص آية ٤٠ .

مراجع البحث

- ١ - القرآن الكريم .
 - ٢ - تفسير القرطبي .
 - ٣ - الكتاب المقدس .
 - ٤ - النبوة والأنبياء للمهندس أحمد عبدالوهاب .
 - ٥ - صورة الله . لمكس ميشيل .
 - ٦ - عصمة الكتاب المقدس للقس صموئيل مشرقى .
 - ٧ - الإسلام يتحدى للأستاذ/ وحيد الدين خان .
 - ٨ - الوحى المحمدى للأستاذ/ محمد رشيد رضا .
 - ٩ - الرسالة والرسالات للأستاذ / عمر سليمان الأشقر .
-